

أسماء الله الحسنى
12
العلى
الكبير
الحفيظ
بقلم: د. وجيه يعقوب السيد
إشراف: أ. حمدى مصطفى



أمرنا الرَّسولُ ﷺ أنْ نقولَ فى سُجودنا : «سُبْحان ربِّى الأعْلى» ثلاثَ مرَّات فى السَّجْدَة الواحدة ، وهذا إقْرارٌ من العَبْد بعُلوِّ مكانة خالقه وعَظَمتها ، فهو (سبحانه وتعالى) العلىّ الأعلى فى المكان والمكانة على حدٍّ سواء .

وعنْدما نتأمَّلُ فى هذا الاسْم العَظيم ، ندرِكُ أنَّ مكانةَ اللَّه ورُتْبتَه فوق كلِّ مكانة ، فمكانةُ اللَّه أعْلى منْ أنْ تُرام وذاتُه أكبرُ منْ أنْ تُضامَ . منْزلتُه فوقَ كلِّ منْزلة وعظمتُه لا يُدانيها أحدٌ منْ خلْقه ، منَ الْتجأَ إلَيه عزَّ ، ومن احْتمى به هُدِىَ إلى صراطٍ مُسْتقيمٍ . أمَّا من اسْتغْنى وتكبَّرَ ، فقدْ هوى إلى

مكانٍ سحيقٍ ، وانْخَفَضَ إلى أسْفَلِ سافلين .

ولعلَّه من أسْرارِ الصَّلاة ونفحاتِها على المُسْلم ، أنَّه يذكُرُ اسْمَ ربِّه الأعْلى فى أثْناء السُّجود ، وهو فى حالة خُشوعٍ وخُضُوعٍ كاملة للَّه (عزَّ وجلَّ) ، ولذلك يقولُ الرَّسولُ ﷺ : «إنَّ أقْربَ ما يَكُونُ العَبْدُ منْ ربِّه وهو ساجدٌ» . فالسُّجودُ فى حدِّ ذاته اعْترافٌ بعظمة اللَّه وعُلُوِّ مكانته ، لأنَّ الإنْسانَ يهْبطُ بأعْلى مكانٍ عنْدَهُ يمسُّ به الأرْضَ خشُوعًا للَّه ، وفى هُبوط الجسد ارتفاعُ الرُّوح والدَّرجات ، فإذا كان الإنْسانُ يسْجُدُ للَّه وينْحنى إجْلالاً لهُ ، فإن اللَّهَ (تعالى) يرفعُ منْ قدْرِ هذا الإنْسان ويُعْلى منْ مكانته . قال (تعالى) : ﴿ يرْفعِ اللَّهُ الَّذين آمَنُوا منْكُمْ والَّذين أُوتوا الْعلْمَ درجاتٍ ﴾ . (المجادلة : ١١)

وقد اقْترن اسْمُه تعالى «الْعليُّ» فى القرآن بأسْمائه الْحُسْنى : الْعظيم والْكبير والْحكيم . وذلك لكىْ يؤكِّدَ أنَّ عُلُوَّ اللَّه وارْتفاعَ مكانه ومكانته دليلٌ على عظمته الْمُطْلقة ، فهو الْعظيمُ الذى يسْتحقُّ وحْدَهُ هذا الْعُلُوَّ

وهذه الْمكانة ، وهو الْعلىُّ الْكبيرُ الْمُتعالى ذُو الْكبْرِياء ، وهو الْعلىُّ الْحكيمُ الذى يدبِّر أُمور خلْقه بحكْمة ، فلا يقْضى شيْئًا إلا بحكْمته الْمُتناهية التى تُدْركُ حقائقَ الأُمور وأبْعادَ الأشْياء .

قال (تعالَى) : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴾ . (الشورى : ٥١)

وقال سُبْحانه : ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ .

(الحج : ٦٢)

وقدْ وردَ أنَّ رسولَ اللَّهِ ﷺ سمع فى ليْلة الإسْراء والْمعراج تسْبيحًا فى السَّموات الْعُلى : «سبْحانَ الْعلىِّ الأعْلى ، سُبْحانهُ وتعالَى» .

فسُبْحانَ الْعالى عُلوِّ الْجلال والْكمال ، الذى ليس فوْقه أحدٌ ولا يُدانيه أحدٌ بل هو الْعلىُّ بالإطْلاق : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾ .

ولا يَبْلغ الإنْسانُ مكانَةً عالِيةً حقيقةً إلا بطاعته للّه وإخْلاصه له فى السِّرِّ والْعَلَن ، لأنَّ اللَّهَ وحْدَهُ هو الذى يملكُ أنْ يَرفَعَ مكانَةَ الإنْسانِ سَواء فى الدُّنيا أوْ الآخِرة . قال (تعالَى) : ﴿ واذْكُرْ فى الْكِتَابِ إدْرِيسَ إنهُ كانَ صِدِّيقًا نبيًا * ورفعْناهُ مكانًا عليًا ﴾ .

(مريم : ٥٦ ، ٥٧)

وقالَ (تعالَى) عن نبيِّه إبراهيم عليه السلام : ﴿ فلمَّا اعتزلَهُمْ ومـا يَعْـبُـدُونَ منْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنا لَهُ إسْحاق ويعْقُوب وكُلاً جعَلْنا نبيًـا * ووَهَبْنا لَهُمْ منْ رحْمتنا وجعلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عليًا ﴾ .

(مريم : ٤٩ ، ٥٠)

والَّذى يتأمَّلُ فى قِصَّةِ الْخَليقة يُدْرِكُ أنَّ العمل الصَّالح هو الذى يرْفعُ قَدْرَ صاحبه ، فقدْ خلق اللَّهُ آدمَ منْ تراب ونفخَ فيه منْ رُوحه ، ورفعَ اللَّهُ مكانَتَهُ وأمرَ الملائكة بالسُّجود له ، أما إبْليسُ فقدْ خلقَهُ اللَّهُ منْ نار ، وعنْدما أمرهُ اللَّهُ بالسُّجود لآدمَ أَبَى واسْتكْبَرَ وامْتلأَ زهْوًا وغُرورًا وكبْرياء ، فطردَهُ اللَّهُ منَ الْجنة ، وجعلَ مكانَتَهُ فى انْخفاضٍ دائمٍ .

فالإِنْسانُ لا تعْلُو مكانتُهُ عندَ اللّه بسبَبِ حسَبِه أوْ جنْسِه أوْ لوْنِه ، ولكنْ بِطاعَتِه والْتزامِه وخُضُوعِه لأوامرِ اللّهِ (تعَالَى) .

فسُبْحانَ الْعَلِيِّ (سبْحانَهُ وتعَالَى) ، وسُبْحانَه الأَعْلَى الوَهَّاب .

اللهمَّ إنا نسْألُكَ أنْ ترفعَ منْ شأنِنا وشَأْنِ بلادِنا ، وأنْ تُعلِي مَكانَتَنا بيْنَ الأُمَمِ بفضْلِك وكَرمِكَ . اللّهُمَّ آمين .



كانَ النبيُّ ﷺ يصلِّي معَ أصْحابِه ، فسَمِعَ رَجُلاً يقولُ :

ـ اللهُ أكبرُ كبيراً ، والحَمْدُ للّه كثيراً ، وسُبْحانَ اللّهِ بُكْرةً وأَصيلاً .

فلمَّا انتهتِ الصَّلاةُ ، سألَ النبيُّ ﷺ :

ـ منِ القائلُ كلمةَ كذا وكذا ؟

فقالَ رجلٌ منَ القَوْمِ :

ـ أنا يا رسُولَ اللّهِ .

فقالَ الرسولُ ﷺ :

ـ عجِبْتُ لها فُتحتْ لها أبْوابُ السَّماءِ .

وكانَ الصَّحابةُ يسْمعونَ هذا الحوارَ ، فقالَ أحدُهم

وهو عبدُ اللَّه بن عُمَر :

ـ فما تركْتُهُنَّ منْذُ سمعْتُ رسُول اللَّه ﷺ يقولُ ذلك .

فما هذا الاسْمُ الجليلُ الذى تُفْتحُ له أبْوابُ السَّماء ويُسْتجابُ لصاحِبه ؟

إنَّهُ اسْمُهُ (تعَالَى) الكَبيرُ . ومعْناهُ أنَّهُ (تعالَى) ذُو الكِبْرِياء والعظَمة ، فهو الكَبيرُ المُتَّصِفُ بالجلال وعُلُوِّ الشَّأْن وكِبرِ المقام ، وكلُّ شىْءٍ إذا قِيس إليه فهو صغيرٌ ضئيلٌ .

يقولُ (تعالَى) :

﴿ ذلكَ بأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحقُّ وأَنَّ مَا يدْعُونَ منْ دُونهِ هُوَ الْباطلُ وأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعلِيُّ الْكبِيرُ ﴾ . (الحج : ٦٢)

وإذا أراد الإنْسانُ أنْ يتأكَّد من هذا المعْنَى ، فلْينظُرْ إلى السَّموات والأرْض والجبال وهذه الحياة على اتِّساعها .. كلُّ ذلك بعْضُ خلْقِ اللَّه . أمَّا ما لا نراهُ فهو أكْثرُ بكثيرٍ .

يقولُ (تعالَى) : ﴿ والسَّماء بنَيْنَاهَا بأيْدٍ وإنَّا لمُوسعُونَ ﴾ . (الذاريات : ٤٧)

فالذى خلقَ كلَّ ذلك هو (الْكبيرُ المُتعال) .

ولعلَّ الذى يتأمَّلُ فى بعض أسْرار الصَّلاة ، وخاصَّةً تكْبيرةَ

الإحْرام ، يُدرِكُ عظمةَ هذا الاسْمِ ومَعْناه . فأنت حين تبدأُ الصَّلاةَ بقولِكَ : « اللّهُ أكْبرُ » ، تعْترِفُ بأنَّ اللّهَ (تعالَى) أكْبرُ من كُلِّ شيْءٍ ، ولذلكَ فقدْ هرْوَلْتَ إليه ، وتركْتَ كُلَّ شيْءٍ ، وخضعْتَ له وحْدَهُ بالرُّكوعِ والسُّجودِ ، وحنَيْتَ رأْسَكَ له ، وطرحْتَ كُلَّ شيْءٍ وراءَ ظَهْرِكَ ، لأنكَ تدرِكُ أنَّكَ واقفٌ بيْنَ يدَى (الْكَبيرِ الْمُتَعالِ) . وقدْ وصفَتِ السَّيِّدةُ عائشةُ حالَ الرَّسُولِ ﷺ حين يدْخُلُ فى الصَّلاةِ بقولِها :

ـ يكونُ معنا نكلِّمُهُ ويُكلِّمُنا ، حتى إذا دخل فى الصَّلاةِ ، فكأنَّهُ لا يَعْرِفُنا ولا نَعْرِفُهُ .

وقدْ أمرنا اللّهُ (جلَّ ثناؤُهُ) بأنْ نُمجِّدَهُ ونُعظِّمهُ ونكبِّرهُ بقلوبِنا وألسنتِنا ، لأنَّ ذلكَ يُعْتبَرُ إقْراراً من الْعبْدِ بوحْدانيتِه ، واعْترافاً بفضْلِه عليه . قال (تعالَى) :

﴿ وقُلِ الْحمْدُ للّهِ الّذى لَمْ يتَّخذْ ولَداً ولَمْ يكُنْ لَهُ شريكٌ فى الْمُلْكِ ولَمْ يكُنْ لَهُ ولِىٌّ من الذُّلِّ وكَبِّرْهُ تكْبيراً ﴾ .

(الإسراء : ١١١)

وهذا التكبيرُ ، وخاصَّةً فى المناسَباتِ الإسْلاميَّةِ الكُبْرى

كالْحجِّ والأعْيادِ ، يُضْفى على الناسِ والْوُجودِ مظاهر الْبهْجة والْفرْحة ، ويُشْعِرُ الإنْسانَ كأنَّ الْوُجود يترنَّمُ معه بالتَّكْبيرِ والتَّهْليلِ ، والْحياةُ تُسبِّحُ بحمْدِ الله . حتى الْجمادِ والطَّيْرِ والْحجرِ والشَّجرِ ، كلُّ أولئك يُسبِّحُ بحمدِ الله . يقولُ (تعالَى) :

﴿ وإنْ منْ شيْءٍ إلاَّ يُسبِّحُ بحمْدهِ ولَكنْ لاَ تفْقهُونَ تسْبيحهُمْ ﴾ . (الإسراء : ٤٤)

ولذلك فقدْ شرعَ الإسْلامُ التكْبيرَ في هذه المناسباتِ تعْبيراً عن الْبهْجةِ والْفرْحةِ ولمْ يشرعْ شيْئاً آخر ، كما شرعَ التكْبيرَ في الأذانِ خمْسَ مرَّاتٍ في الْيوْمِ ، وذلكَ لكي يكونَ حافِزاً للناسِ على الإسْراعِ إلى الصَّلاةِ والاسْتعْدادِ لها ، بما يتناسبُ مع مكانتِها وأهمِّيَّتِها .

والْكبيرُ من الْعبادِ ـ كما قال الْعُلماءُ ـ هو الإنْسانُ الْقريبُ من اللَّه ، الذى يُفيضُ على منْ حوْلهُ من الناسِ منْ علْمِه وكرمِه ورجاحةِ عقْلِه .

فكمالُ الْعبْدِ في عقْلِه وورعِه وعلْمِه وطاعتِه للَّه .

فالكبيرُ هو الْعالمُ التقيُّ ، المرْشِدُ للْخلْقِ ، الصَّالحُ لأنْ يكونَ

قُدْوَةً ، يُقْتَبَسُ مِنْ أَنْوارِه وعُلومِه .

ولذلكَ فقدْ قالَ عيسى عليه السلام :

ـ مَنْ عَلِمَ وَعَمِلَ ، فذاكَ يُدْعى عَظيماً في ملكُوتِ اللّه .

اللهُمَّ إنّا نَسأَلُكَ يا عَلِيُّ يا كَبيرُ يا مُتَعالي ، أَنْ تُعْلي منازِلَنا وأنْ تُفيضَ علَيْنا من بَرَكاتِك ، وأَنْ تُجنِّبَنا الزَّلَلَ والنِّسْيانَ ، حتى تكونَ نُفُوسُنا كَبيرَةً وهِمَمُنا عاليةً في طاعَتِكَ وعِبادَتِكَ .



كان عبدُ اللَّه بنُ عباسٍ يُلازِمُ الرَّسولَ ﷺ فى حلِّه وترحاله ، لكىْ يتعلَّم منه ويعى عنْهُ .. وفى إحدى المرَّات ، وبيْنما كان يركبُ خلْفَ رسول اللَّه ﷺ وهو طفْلٌ صغيرٌ ، قال له النبىُّ ﷺ :

«يا غلامُ ، إنى أُعلِّمُكَ كلمات : احفْظ اللَّه يحْفظْكَ ، احفظ اللَّه تجدْهُ تجاهَكَ ، إذا سألْتَ فاسْألِ اللَّهَ ، وإذا اسْتعنْتَ فاسْتعنْ باللَّه ، واعلَمْ أنَّ الأُمَّة لو اجْتمعتْ على أنْ ينْفعوكَ بشىْءٍ لم ينفعوكَ إلا بشىْءٍ قدْ كتبهُ اللَّهُ لكَ ، وإنِ اجْتمعُوا على أنْ يضُرُّوكَ بشىْءٍ لم يضُرُّوكَ إلا بشىْءٍ قدْ كتبهُ اللَّهُ عليْكَ ، رُفعتِ الأقْلامُ وجفَّتِ الصُّحُفُ» . (رواه الترمذى)

ولم يفُتْ ذكاءُ عبدِ اللَّه بن عبَّاسٍ ـ برغْمِ صغرِ سنِّهِ ـ

أنْ يُدرك أنَّ حفْظَ الإنسانِ للّه معْناهُ : أنْ يمتثل لأوامرِهِ وينْتهي عنْ نواهيه ، وألا يتجاوزَ حُدوده مع اللّه بالمعاصي والذُّنوب .

أما حفْظُ اللّه للإنْسان فمعْناهُ : حمايةُ الإنْسانِ منْ كلِّ شرٍّ وسُوءٍ ، فالإنْسانُ برغم ضعْفه يعيشُ على ظهْرِ الأرض آمناً مُطمئناً سالماً دون خوفٍ أوْ فزعٍ ببركة حفْظ اللّه لهُ ، فاللّهُ يحْمي الإنْسانَ منْ همزاتِ الشّياطينِ ووسْوسةِ النّفْسِ ومنْ كلِّ شيءٍ يريدُ به سُوءاً ، فهو (سُبْحانَهُ وتعالى) الْحفيظُ الْحافظُ .

قالَ (تعالى) : ﴿ وإنَّ عليْكُمْ لحافظين * كراماً كاتبين * يعْلمُونَ ما تفْعلُونَ ﴾ . (الانفطار : ١٠ ـ ١٢)

واللّهُ (تعالى) يحْفظُ السّمواتِ والأرْضَ والْكائناتِ من الزّوالِ والانْدثارِ حتى تنتهيَ مهامُّها بالْفترةِ الّتي كتبها اللّهُ لها . ولا يمْلكُ أحدٌ أنْ يحْفظَ هذا الْوُجودَ إلا اللّهُ (تعالى) ، لأنَّ حفْظَ الأشْياءِ والْحفاظَ عليْها يقْتضي قُدْرةً خاصّةً وقوّةً وحكْمةً وعلْماً .. ولا يتّصفُ بذلك سوى اللّهِ جلّتْ قُدْرتُهُ .

ويرْوي الْعُلماءُ والْمفسّرونَ : أنَّ الشّياطينَ قديماً كانتْ تُحاولُ أنْ تتسمّعَ الأخْبارَ وتتعرّفَ على ما سيحْدثُ في

الغَيْب ، لكنَّ اللهَ (تعالى) منعَها من ذلك ، وجعلَ في السَّماءِ شُهُبًا تَحرِقُ الشَّياطينَ وتَصْعَقُهُمْ إذا حاولوا أن يتسمَّعوا أو يَتَنَصَّتُوا .

قال (تعالى) : ﴿ ولقدْ جعلْنا في السَّماءِ بُرُوجًا وزَيَّنَّاها للنَّاظرين * وحفظْناها من كُلِّ شَيْطانٍ رَجيمٍ * إلاَّ من اسْتَرقَ السَّمعَ فأَتْبَعَهُ شِهابٌ مُبينٌ ﴾ . (الحجر : ١٦ ـ ١٨)

ولذلكَ فإنه لا يعلَمُ الغَيْبَ إلاَّ اللهُ ، ولا توجدُ قُوَّةٌ في الوُجودِ بإمكانها أنْ تتنبأَ بما سيَحْدُثُ ، ولذلك يجبُ على الإنْسانِ أن يطْمئنَّ ولا يخافَ ، لأنَّ أمْرَهُ ورزقَهُ وكلَّ ما يتطلَّعُ إليه بيدِ اللهِ الحفيظ .

وكانَ الرسولُ ﷺ يُعلِّمُ أصحابَهُ أدْعيَةً مأْثورةً في أوقاتٍ مُختلفةٍ ، وهذه الأدْعيةُ تحفظُهمْ من كُلِّ سُوءٍ بإذن اللهِ ، ومنْ تلكَ الأدْعيةِ ما نَدْعُو بها عندَ النَّومِ خاصَّةً وعندَ دُخُولِ دوْراتِ المياه .

قالَ رسولُ اللهِ ﷺ : «إذا أوَى أحدُكمْ إلى فراشِهِ فلْيَنْفُضْهُ بداخلةِ إزارِه ، فإنَّه لا يدْري ما خلَفَهُ عليه ، ثم ليضْطجعْ على شقِّهِ الأيْمنِ ، ثمَّ ليَقُلْ : باسْمِك ربِّي وضعْتُ

جنبى وبك أرفعُهُ ، إنْ أمسكْت نفسى فارحمها ،
وإن أرسلْتها فاحفظْها بما تحفظُ به عبادك الصالحين» .
(رواه البخارى)

وهُناك كتابٌ شاملٌ يجمعُ الأذكارَ والأدعيةَ المأثورةَ عن النبى ﷺ ، عُنوانُه «الأذْكار ، المنتخبُ منْ كلام سيِّد الأبْرار» جمعهُ وعلقَ عليْه الإمامُ النَّووىُّ رحمهُ اللَّهُ ، ويُمكنُ الرُّجوعُ إليه للاسْتزادة .

ولعلَّ أهمَّ شىء حفظهُ اللَّهُ لنا هو القرآنُ الكريمُ ، حيْثُ قال (تعالى) : ﴿ إنَّا نحنُ نزلْنا الذِّكْرَ وإنا لهُ لحافظُون ﴾ .
(الحجر : ٩)

فالقرآنُ الكريمُ مُنْذُ أنزلهُ اللَّه (تعالى) على رسُوله وحتَّى تقُومَ السَّاعةُ ، هو كتابُ اللَّه المُعجزُ الذى وصلنا بلا تبْديل ولا تحريف ولا زيادة ولا نقْصان ، والسرُّ فى ذلك هو حفْظُ اللَّه (تعالى) له ، وقدْ هيَّأ لهُ منَ العُلماء المخلصين منْ حفظهُ وفسَّرهُ وشرح معانيه .

ولا يُوجدُ كتابٌ على وجْه الأرْض توفَّر له مثْلُ ما توفَّر لهذا القرآن الكريم ، حيْثُ نجدُ العناية به مُنذُ القدم كبيرةً ،

والْمَكْتَبةُ تحتوى على آلاف الكتب التى تدورُ حولَ القرآن وعُلُومه . أَلَيْس هذا حفْظًا للقرآن وصيانةً له ؟

ومَهْما حاول أعْداءُ الإسْلام أنْ ينالوا منْ مكانة القرآن أو يُحرِّفوا فى معَانيه أو أَلْفاظه ، فإنَّ اللّه لنْ يُمكِّنَهُمْ منْ ذلك ، لأن هذا الْكتاب الْخالدَ هو الدُّسْتُورُ الذى يسْتمدُّ منه المسلمون والنَّاسُ جميعًا أَحْكامَهُمْ وأُمُورَ حياتهمْ ، لأنه كتابُ الله الذى لاَ يأْتيه الْباطلُ منْ بيْن يديْه ولاَ منْ خلْفه .

اللهمَّ احْفظْنا منْ كُلِّ سُوء ، احفظْنا فوْق الأَرْض وتحتَ الأَرض ويوْم الْعرْض عليْكَ ، واحْفظ الإسْلام منْ كيْد أعْدائه ، واحْفَظْ نُفُوسَنا وأَرْواحنا وأَجْسادنا برحْمتك يا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ .

رقم الإيداع : ١٤٦٩٠
الترقيم الدولى : ٧-٣٥٩-٢٦٦-٩٧٧